بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الذين اصطفى ، وعلى خاتمهم محمد المجتبى، وعلى آله وصحبه مصابيح الهدى، وكل من بهم اقتدى فاهتدى.

أما بعـــــــد . . .

فهذا هو الجزء الرابع والأخير من سلسلة (حتمية الحل الإسلامى) الذى صدر الجزء الأول منها سنة ١٩٧١ . ثم صدر الجزء الثانى (الحل الإسلامى فريضة وضرورة) سنة ١٩٧٤ والجزء الثالث (بينات الحل الإسلامى وشبهات المتغربين والعلمانيين) سنة ١٩٨٧م، فتأخر كثيرا، وصدر هذا الجزء (أعداء الحل الإسلامى) سنة ٢٠٠٠ فى ختام القرن العشرين. أى بعد ثلاثة عشر عاما من صدور الجزء الثالث.

والعجيب فى هذا الأمر أنى حين عدت إلى ملفاتى وأضابيرى – وما أكثرها – وجدت الكتاب عندى شبه مكتمل إلا من فصل واحد، وهو ما يتعلق بـ (الصهيونية) ومواد هذا الموضوع عندى، بعضها فى الرأس، وبعضها فى الطرس، وقد كتبت عن الصهيونية وعدوانها على فلسطين والمقدسات الإسلامية أكثر من كتاب، مثل (درس النكبة الثانية) بعد هزيمة ١٩٦٧م و(القدس قضية كل مسلم) منذ سنتين وفصولا مختلفة فى عدد من الكتب، ومقالات متنوعة فى عدد من الصحف.

وكان المفترض أن يصدر هذا الجزء الرابع مع الجزء الثالث الخاص بالرد على الشبهات حول الحل الإسلامى، أو عقبه مباشرة، ولكن مما ابتليت به – وبعض

الابتلاء نعمة – أن هناك مواضيع آنية تطلب منى لسبب أو لآخر، وتفرض نفسها علىّ، فأدع ما كنت غارقا فيه إلى موضوع جديد، يستحوذ على ذهنى وجهدى فترة من الزمن، حتى أفرغ منه.

ثم هناك أمر آخر يؤثر على سيرى فى الكتابة، وهو (السفر) فقد أعيش أحيانا فى موضوع ما، أشحذ له عقلى، وأشهر له قلمى، وأفرغ له وقتى، وهنا تتوارد الخواطر، وتتداعى المعانى، وتسترجع المعلومات، وتتهيأ المراجع، وأبدأ على بركة الله فى الكتابة، وأقطع شوطا جيدا أغبط نفسى به، وأحمد ربى عليه، ثم لا يلبث أن يأتينى سفر قد يطول قليلا، فينقطع حبل فكرى، وينقلنى إلى جو آخر، وقضايا أخرى، فإذا عدت من سفرى، لم أجد المناخ النفسى والعقلى الذى عشت فيه من قبل، وأحتاج إلى جهد ومعاناة ووقت، حتى أستعيد ما كنت عليه من تهيؤ وتحفز، وقد أشغل عن الموضوع السابق بموضوع آخر ولدته هذه السفرية، ولا أدرى هل يبتلى إخوانى من الكتاب والمصنفين بمثل ما أنا مبتلى به، أو هى بليتى وحدى؟ أسأل الله العون من عنده.

على كل حال، لقد فرحت بالمادة التى وجدتها عندى لهذا الجزء، وكأنها ركاز أو لقطة وجدتها، ومن عجائب الأقدار أن بعضها كتب مما يقرب من نحو ثلاثين سنة، وبعضها كتب بخطوط إخوة وزملاء فضلاء لى فى المعهد الدينى الثانوى فى قطر عندما كنت مديرا له. كانوا يساعدوننى بتبييض ما أكتبه بخطى الردئ والسريع، ليكتبوه بخطوطهم الجميلة. وأكثرهم قد انتقل إلى رحمة الله تعالى. أنتهز هذه الفرصة لأذكرهم وأشكرهم، وأدعو لمن لقى ربه منهم بالمغفرة والرحمة والرضوان من الله تعالى، ولمن كان حيا بالحفظ والرعاية والتوفيق.

من هؤلاء الإخوة الأكارم: الشيخ/ **عليوة مصطفى عليوة** العالم الشاعر وكيل المعهد الدينى رحمه الله، والشيخ/ **محمد على الموافى** العالم اللغوى الذى رقّى من المعهد الدينى إلى توجيه اللغة العربية بوزارة التربية، وقدر له أن يصاب

فى حادث سيارة، انتهى بوفاته رحمه الله، والأخ الداعية الشيخ/ **مصباح محمد عبده**، الصديق الوفى الذى وافاه الأجل فى الدوحة رحمه الله، والأخ العالم الداعية الشيخ/ **على محمد جماز**، الذى تولى إدارة المعهد بعدى، ثم عمل معى مدرسا بكلية الشريعة رحمه الله، والمعلِّم المتميز الأستاذ/ **رشدى عبد الغنى المصرى**، الذى نقل إلى توجيه اللغة العربية، ثم أحيل إلى التقاعد، وسافر إلى مصر، فإن كان حيا فإنى أسأل الله أن يحفظه ويرعاه، وإن كان ميتا فأدعو الله له بالمغفرة والرحمة وأن يخلفه فى أهله وولده بخير. والأستاذ/ **أحمد محمد الصديق**، الأديب الشاعر المعروف حفظه الله وسدد خطاه.

ولقد وجدت بعض المعلومات قد أصبحت قديمة، فاجتهدت أن أحدثها ما استطعت، وربما أبقيت على بعضها، فليعذرنى القارئ الكريم.

وقد أبقيت على بعض المادة الموجودة عمدا، لأنها تمثل مرحلة لا ينبغى أن ننساها، كما فى الحديث عن (الشيوعية) أو (الماركسية) فقد كتبت ما كتبت عنها يوم كانت الشيوعية تحكم الاتحاد السوفيتى، وعددا من أقطار أوروبا الشرقية، وبعض البلدان الإسلامية، مثل اليمن الجنوبى، وألبانيا، وكان لها أنصارها من (دعاة الماركسية) أو اليسار فى كل مكان فى العالم، ومنه بلادنا العربية والإسلامية.

ولقد تغير الوضع الآن، وانهار الاتحاد السوفيتى، وسقط حكم الشيوعية فى روسيا نفسها، البلد الأم للشيوعية، وفى أوروبا الشرقية، ومنها بلاد إسلامية، مثل (البوسنة والهرسك) وكذلك (كوسوفا) وسقطت الشيوعية أيضا فى اليمن الجنوبى وألبانيا، وانتهت إلى غير أمل فى العودة.

ولكن بقيت الشيوعية فى بلد كبير كالصين، وبقى حكم الشيوعيين فى الجمهوريات الإسلامية التى كانت جزءا من الاتحاد السوفيتى، فقد اتفق الغرب والشرق على إبقاء الحكم الشيوعى فيها، خشية أن تكون الصحوة الإسلامية هى الوارثة، وبقى كثير من الماركسيين القدماء يدافعون بِجَلَد عن الماركسية

الساقطة فى بلادها، ويزعمون ببجاحة أن هذا السقوط إنما كان للتطبيق، وليس للنظرية.

على أن الشيوعيين ما زالوا يكوّنون حزبا قويا داخل روسيا، ولا يبعد أن تأتى الفرصة يوما لهذا الحزب ليثب على الحكم، ويمتلك أزمّة السلطة بيديه، وقد عاد بعض الأحزاب الشيوعية فى أوروبا للحكم مرة أخرى بعد سقوطه.

من أجل هذا، أبقيت على فصل (الشيوعية) بوصفها عدوا دائما لرسالة الإسلام، وللحل الإسلامى.

ومثل ذلك فصل (الاستعمار) فقد يتوهم بعض الناس: أن الاستعمار قد ولى عهده، وحمل متاعه، ورحل إلى غير رجعة، والواقع أن الاستعمار باق بصورة وأخرى، ولكنه غيَّر أساليبه السالفة، وغير شكله القديم، ولم يعد يحتاج إلى احتلال الأرض، والتحكم المباشر، بل بات يحكم من وراء ستار، بالنصائح الملزمة، والرغبات التى هى فى حقيقتها أوامر، والإشارات التى لها حكم العبارات، والتلويحات التى لها قوة التصريحات، وربما أكثر منها.

هذا هو ما يجرى عليه الاستعمار الجديد، الاستعمار الإمبريالى الأمريكى المتجبر، المستكبر فى الأرض بغير حق، الذى يقول ما قال قوم عاد: من أشد منا قوة؟ أو ما قال فرعون: أنا ربكم الأعلى!

ولقد قلنا: إن الاستعمار يغير لونه كالحرباء، ويغير جلده كالثعبان، ويغير وجهه كالممثل القدير، ويغيّر اسمه كالمزوّر المحتال، ولكنه هو هو، وإن غيّر صورته، وبدّل اسمه وعنوانه.

ومن أسمائه الجديدة والشهيرة والمروجة اليوم (العولمة) بمعناها السياسى، ومعناها الاقتصادى، ومعناها الثقافى.

على أن هذا الاستعمار قد يستخدم القوة العسكرية عندما يريد، كما رأينا ونرى إلى اليوم من ضرب ليبيا، وضرب السودان، وضرب أفغانستان، وضرب

العراق، وفرض الحصار عليه، وتجويع شعبه، وإماتة أطفاله، لعدم خضوع هؤلاء للاستعمار الجديد، والتمرد على أوامره، وليس لمجرد عمله الأحمق الظالم باحتلال الكويت. فقد كان وراء إغرائه باحتلالها.

بل نرى الأمريكان ينشئون لهم مرتكزات عسكرية فى عدد من البلدان، يخزنون فيها معداتهم، ويشيدون فيها منشآتهم، ويضعون عليها بعض جنودهم، كما فى بعض بلاد الخليج، وإن كان هذا فى الظاهر برضا حكام هذه البلدان واتفاقهم، والواقع يقول: إنه منطق القوة والجبروت والاستكبار هو الذى فرض عليهم أن يعلنوا القبول، لأنهم لا يملكون أمام الفرعون المتأله أن يقولوا: لا.

وأرجو أخيرا أن يكون هذا الجزء متمما للأجزاء الثلاثة الأخرى، ومكملا للحقيقة التى أردت كشف القناع عنها للقارئ المسلم، حتى تتضح له الصورة بكل جوانبها.

فيعرف أولا: ماذا جنت الحلول المستوردة، من الغرب أو الشرق على أمتنا؟.

ويعرف ثانيا: أن الحل الإسلامى فريضة وضرورة: فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، ويعرف معالم هذا الحل وشروطه وخصائصه وآثاره.

ويعلم ثالثا: الشبهات التى يثيرها من يثيرها حول الحل الإسلامى من العلمانيين والمتغربين، وأن لدى الإسلام من البينات ما يفندها ويرد عليها بالحجج القاطعة.

ويعلم رابعا وأخيرا: من هم خصوم الحل الإسلامى وأعداؤه الذين يقفون فى وجهه، ويزرعون العقبات فى طريقه، ويجتهدون فى التشويش عليه، وتشويه صورته، والتشكيك فى صلاحيته.

وقد عرفنا فى هذا الجزء هؤلاء الأعداء الأساسيين، وهم: الاستعمار، والصهيونية، والشيوعية، والحكام المنافقون وعبيد الفكر الغربى، والمترفون

والمتحللون. وقد تحدثنا عن كل عدو من هؤلاء فى فصل خاص. وعرفنا لماذا يعادون الحل الإسلامى، والمنهج الإسلامى، ونحن نوقن أنه لا بديل عن هذا الحل، فهو الحل الأول، والحل الأخير، على أن نحسن فهمه، ونحسن تطبيقه، ونعدّ الأمة لحمل رسالتـــه.

فالحل الإسلامى ليس عصا سحرية، وليس يعمل من خلال خوارق سماوية، إنما يعمل من خلال إرادة الأمة وقدرتها على العمل والإنفاق، والبذل والعطاء، واستعدادها لأن تغير ما بأنفسها حتى يغير الله ما بها، وفق القانون الإلهى الذى سجله القرآن الكريم: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١].

والحمد لله أولا وآخرا.

يوسف القرضاوى

الدوحـــة

ذو الحجة ١٤٢٠ هـ

مارس (آذار) ٢٠٠٠ م

أعداء الحل الإسلامى

إن الجماهير المسلمة فى كافة بلاد الشرق الإسلامى تريد الحياة فى ظل الإسلام، وتحت راية القرآن، وتتطلع إلى اليوم الذى تعود فيه إلى الإسلام، أو يعود إليها الإسلام. الإسلام النقى من الزوائد والبدع والشوائب التى كدرت صفاءه، الإسلام كله بلا تفتيت ولا تجزئة لتعاليمه وأحكامه، الإسلام عقيدة وعبادة وخلقًا فى حياة الفرد، وشريعة توجه الأسرة وتحكمها، ومنهاجا يصبغ حياة المجتمع كلها بصبغة الله ﴿ **ومن أحسن من الله صبغة** ﴾ ويقيم العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدولية على أسس القانون الإسلامى، والتوجيه الإسلامى، منهاجًا ينفخ فى الحياة كلها من روح الإسلام، ويبنى تصورات الأفراد وسلوكهم على دعائم الإسلام.

كم نسبة الذين يريدون العودة إلى حكم القرآن، وهدى الإسلام؟ إن الذى عرف الشعوب الإسلامية عن كَثَب، وخالط أهلها فى مدنهم وقراهم، فى حياتهم الخاصة والعامة، يدرك أن الدين هو الأمر الأول فى حياة هذه الشعوب، وأنها لا ترضى بالإسلام بدلا، ولا تبغى عنه حولا.

صحيح أنه لم يحدث فى أى بلد فى العالم الإسلامى – باستثناء إيران – استفتاء على المبدأ الذى يحكم به المسلمون ويرجعون إليه فى شئون حياتهم: أيحكمون بما أنزل الله أو بما استورده الحكام من الغرب والشرق؟ ولكن حدثت أشياء تشير إلى اتجاه الأمة فى مناسبات شتى.

سأضرب مثلين من مصر التى يزعم زاعمون أن شعبها تحول فى وقت من الأوقات إلى مجتمع اشتراكى!!.

المثل الأول: يوم قام الأستاذ الشيخ محمد الغزالى فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية – كما يسمونها – وهو مؤتمر ضم عدة ألوف من أبناء مصر المنتخبين من دوائرهم وبلادهم، بعد أن أبعدت حكومة الثورة كل العناصر «الرجعية» التى يخشى منها، أو لا يرغب فيها، عن طريق ما سموه «العزل السياسى» أقول: قام

الشيخ الغزالى فى المؤتمر يدعو إلى تطهير البلاد وتحريرها من سيطرة الاستعمار العسكرى، وذلك بالعودة إلى (التربية الإسلامية) التى تصوغ الأجيال الناشئة وتوجهها وفقًا لفكرة الإسلام، وآداب الإسلام، وإلى (الشريعة الإسلامية) التى تصبغ الفقه والقانون والإدارة وسائر التقاليد والأوضاع بصبغة الإسلام.

فماذا كان موقف أعضاء المؤتمر من هذه الدعوة؟ ماذا كان موقفهم حين سمعوا كلمة الغزالى، وهى تدعو إلى نظام غير النظام الذى تتبناه الحكومة التى دعتهم، وهيأت لهم هذا المؤتمر، ومعها سيف المعز وذهبه؟؟.

لقد غلبت الفطرة الإسلامية الأصيلة فى شعب مصر على كل المخاوف التى تتراءى أشباحها فى مثل هذا الموقف وصفق المؤتمرون للكلمة الإسلامية تصفيقًا طويلا حارا مخلصا، غاظ كثيرين من عبيد الغرب والشرق، ممن لم يصلّوا لله ركعة، ولم يصوموا له يوما، ولم يعرفوا عن الإسلام شيئًا. اللهم إلا مناظر فى الطريق العام، أو ذكريات من التاريخ القديم.

ومن هؤلاء الصحفى المصرى المعروف «محمد التابعى» الذى كتب بعدها فى صحيفة «أخبار اليوم» يقول: «أكتب اليوم كلامًا أعرف أنه سيغضب الكثيرين، ولكنه حق، أنا لا أدافع هنا عن منكر خبيث وإنما أدافع عن حرية العقيدة التى نص عليها مشروع «الميثاق».

«ولقد صفق أعضاء المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية، صفقوا طويلا للعبارات التى جاءت فى مشروع الميثاق عن حرية العقيدة، واحترامها، ثم عاد نفس السادة أعضاء المؤتمر وصفقوا طويلاً لفضيلة الشيخ محمد الغزالى، وهو يقول كلامًا يجافى حرية العقيدة على خط مستقيم «وعندما أقول: «صفق الأعضاء» فأنا أعنى غالبية الأعضاء، وقد قدرتها بثلاثة أرباع الحاضرين، ولكن عضوًا بالمؤتمر صحّح لى الرقم وقال: بل قل تسعة أعشار الحاضرين!!.

«تسعة أعشار أعضاء المؤتمر كانوا مع فضيلة الأستاذ الغزالى الذى استطاع أن يكسبهم إلى جانبه عندما استثار نخوة الرجولة فيهم بحديثه عن الفتنة التى

تمشى فى الشوارع عارية السيقان والصدر والظهر، وعندما استثار فيهم القوة الدينية بحديثه عن وجوب تحريم الخمر – مثل المخدرات – ووجوب الرجوع إلى أحكام ديننا الحنيف، دين الإسلام فى سائر المعاملات والعقوبات وأن من قتل يُقتل ... إلخ».

ولا يعنينى هنا من تسجيل هذا الكلام المخالف صراحة لقواطع الإسلام إلا أن ٩٠٪ من أعضاء مؤتمر شعبى منتخب عزلت عنه «العناصر الرجعية» المعارضة لسياسة الثورة – كانوا مع كلمة الإسلام، وشريعة الإسلام، ومنهاج الإسلام.

وإذا كان التابعى يقول فى مقالته تلك: إن فى البلد مليونين ونصف مليون من المواطنين الذين ينتمون إلى عقائد دينية أخرى، فكيف نفرض عليهم شريعتنا؟ تحرم عليهم الخمر مثلا. فهذا منطق مرفوض.

إن مليونين ونصف أو ثلاثة ملايين أو أربعة أو خمسة لا يجوز أن تحكم هى على ستين مليونًا، إن الأقلية يجب أن تتبع الأكثرية كما هو مفهوم الديمقراطية. وإلا كان معنى ذلك: أن الأقلية تفرض دكتاتورية على الأكثرية.

على أن الإسلام يحترم عقائد الأقلية وشعائرها، ويصون حرماتها ومقدساتها الخاصة، كما بينا ذلك فى موضعه [١]. وليس من العقائد والشعائر شرب الخمر ولا التعامل بالربا، ولا إباحة الزنى. هذا مع أن من الفقهاء من أجاز لهم شرب الخمر فى قراهم وأحيائهم خاصة.

والمثل الثانى شبيه بهذا المثل. إنه تصفيق طويل حار من أعضاء الاتحاد الاشتراكى المصرى فى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٧ عندما تحدث الرئيس المصرى – جمال عبد الناصر – عن القيم الدينية والمبادئ الدينية، بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ وقد سمع التصفيق كل من فتح المذياع فى تلك الليلة.

علام يدل هذا المثل وذاك؟

---

(١) انظر: فصل (الأقليات الدينية والحل الإسلامى) من كتابنا (بينات الحل الإسلامى) وكذلك كتابنا (غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى).

إنه يدل على أصالة الإسلام وعمقه فى ضمير جماهير الشعب، ويوم يتاح للشعوب استفتاء حر نزيه، سيعرف الذين حكموا وظلموا أى منقلب ينقلبون.

وإذا كانت الشعوب المسلمة وجماهيرها المؤمنة تريد الحل الإسلامى وتنفر من غيره فمن هم – إذن – الذين يقفون فى وجه هذا الحل، ويعترضون سبيله ويشوشون عليه وعلى دعاته بكل ما يملكون وما يستطيعون؟؟

مَن هؤلاء الذين يعادون الإسلام فكرة ورابطة ومنهج حياة، فيعادون بذلك الله الجليل فوق عرشه! والنبى الكريم فى قبره! وأبطال هذه الأمة وعلماءها فى أربعة عشر قرنًا من الزمان؟! من هؤلاء الذين يتحدّون مشاعر أكثر من مليار مسلم متفرقين فى القارات، يرون أن أعظم نعمة أنعم الله بها عليهم هى الإسلام؟!

من هؤلاء المعارضون فى الداخل والخارج؟ وما حجتهم؟ وما مصلحتهم فى محاربة ما ارتضاه الله لعباده المسلمين وما رضيه المسلمون لأنفسهم؟.

إن هذا البحث هو إجابة مفصلة عن هذا السؤال حتى يعرف المسلم الواعى:

من هم أنصار الله؟ ومن هم أعداء الله؟

* * *